«لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يرفع من الوسط الذي يحجز الآن»[1] (٢ تس ٢: ٧)

القس د. عيسى دياب

المقدمـــة

لا يُفهم هذا النص الكتابي جيدًا ما لم يُقرأ في سياقه الكتابي. ففي الفصل الثاني من الرسالة الثانية إلى تسالونيكي، يعرض الكاتب صورة عن حدث مجيء المسيح الثاني، كانت واضحة للقارئ الأول، لكن أصبحت مبهمة لقرّاء الأزمنة التالية. يظهر أن شعب كنيسة تسالونيكي كان ينتظر مجيء المسيح ثانية ("يوم المسيح") بعصبية وتشنج؛ هذا وقد انتشرت في وسطهم رسائل (؟)، تدّعي لنفسها سلطة الكاتب الرسولية، أو أقوال نبوية تنم عن سوء تفسير لما جاء في الرسالة الأولى عن القيامة ومجيء المسيح (١تس ٤: ١٣-١٨)، أو صادرة عن أنبياء كذبة. وقد أشاعت هذه الأقوال بينهم أخبارًا مفادها "أن يوم المسيح قد حضر" (آ ٢)، وقد اجتمع المؤمنون بالمسيح، أما هم فلم يكن لهم نصيب في الحدث. ومن أجل تصحيح هذه الصورة الخاطئة، يكتب لهم الكاتب بأن "حضور المسيح" يجب أن تسبقه سلسلة من الأحداث المهمة: استعلان "إنسان الخطيئة"، "ابن الهلاك" (آ ٣) أو "الأثيم" (آ ٨)، "المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا حتى أنه يجلس في هيكل الله كإله مظهرًا نفسه أنه إله" (آ ٤)، ذاك الذي سيبث بعمله الأثيم الخبيث روح التمرد والعصيان على الله، فيرتد كثيرون عن الإيمان ("الارتداد"، آ ٣). لكن، يقول الكاتب، استعلان "الأثيم" منوط ببطلان ما يحجز ويمنع ظهوره إلى العلن، وعندما يتم هذا – أي يزول الحاجز– "سيستعلن الأثيم" (آ ٨) "الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين" (آ ٩-١٠). وبالنهاية، "الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه" (آ ٧). وكتحضير لهذه الأحداث السابقة لمجيء المسيح، "سر الإثم الآن يعمل..." (آ ٧). أسئلة كثيرة تطرح نفسها هنا:

ما هو "سر الإثم" هذا؟

كيف يعمل "سر الإثم" ؟

ما هو الوقت المعبر عنه بـ"الآن"، أو زمن عمل "سر الإثم"؟

ونحاول، في هذه المقالة، أن نجيب على هذه الأسئلة الثلاثة.

ليس لدينا أدنى شك في أن كاتب الرسالة خط كلماته وفي ذهنه رؤى أو أحلام دانيال، خاصة في الفصول الثاني والسابع والثامن حتى الحادي عشر من السفر المسمى باسمه. ونعتقد بأن حدث "الأثيم" في الرسالة هو تحقيق مسيحاني لـ"القرن الصغير" في رؤى دانيال. فتعالوا نستعرض أولاً الرؤى وتفاسيرها لنقارنها بتحقيقها المسيحاني في الرسالة.

(١) كل النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة فاندايك–البستاني ما لم يُشر إلى خلافه.

أولا: استعلان ملكوت الله بين سفر دانيال ورسالة تسالونيكي الثانية

يقدم لنا سفر دانيال أربع رؤى، يراها دانيال في أحلام مختلفة ومتباعدة تتكلم عن نهاية التاريخ بتحقيق "ملكوت ابن الإنسان:

١. في دا ٢: ٣١-٣٥ كشف دانيال للملك نبوخذنصر عن رؤيا حَصَلَتْ له في الحلم: تمثال عظيم رأسه من ذهب، صدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. فجأة يضرب حجر كبير التمثال الذي انسحقت أجزاؤه وذهبت مع الريح. والحجر "صار جبلاً كبيرًا وملأ الأرض كلها". وفي آ ٣٧-٤٥ يعطي دانيال الملكَ التفسير: نبوخذنصر هو رأس الذهب (المملكة الكلدانية)، تقوم بعده مملكة أصغر منه هي صدر التمثال وذراعاه وهي من فضة (مادي)، بعد ذلك تقوم مملكة ثالثة من نحاس "فتتسلط على الأرض كلها (فارس)، "وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد مختلطًا بخزف الطين" (اليونان)، وهؤلاء يختلطون بالشعوب. "وفي أيام هؤلاء الملوك [الذين هم من إفرازات الإمبراطورية اليونانية] يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدًا..."

٢. في دا ٧: ٢-١٤ يخبر دانيال عن رؤيا أخرى: "صعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة... الأول كالأسد وله جناحا نسر... وإذا بحيوان آخر ثانٍ شبيه بالدب... وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر، وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطي سلطانًا... وإذا بحيوان رابع... له عشرة قرون. كنت متأملاً بالقرون، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقُلِعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان في هذا القرن وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وُضعت عروش وجلس القديم الأيام... فجلس أهلُ الدين... كنت أنظر حينئذٍ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قُتِل الحيوان، هلك جسمه ودُفِع لوقيد النار... وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض". ويأتي التفسير في آ١٧-٢٧: "هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة ملوك يقومون على الأرض [الكلداني والمادي والفارسي واليوناني]. أما قديسو العلي [شعب الله] فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى أبد الآبدين... وعن القرن [الصغير] له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه. كنت أنظر، وإذا هذا القرن يحارب القديسين، فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطي الدين لقديسي العلي، وبلغ الوقت، فامتلك القديسون المملكة... أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض... والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر، وهو مخالف الأولين، ويُذِلّ ثلاثة ملوك. ويتكلم ضد العلي، ويُبلي قديسيّ العلي، ويظن أنه يغيّر الأوقات والسُّنَّة، ويُسلّمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان. فيجلس أهلُ الدين، وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت السماء تُعْطَى لشعب قديسيّ العلي...".

٣. في دا ٨: ١-١٤ نقع على رؤيا أخرى لدانيال: "... فرفعت عيني ورأيت، وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان، والقرنان عاليان والواحد أعلى من الآخر والأعلى

طالع أخيرًا... وبينما كنت متأملاً وإذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض... وللتيس قرن معتبر بين عينيه. وجاء إلى الكبش ... وضرب الكبش وكسر قرنيه... وطرحه على الأرض وداسه... فتعظم تيس المعز جدًا، ولما اعتزّ انكسر القرن العظيم، وطلع عوضًا عنه أربعة قرون معتبرة... ومن واحد منها خرج قرن صغير وعظم جدًا نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضي. وتعظم حتى إلى جند السموات، وطرح بعضًا من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم. وحتى إلى رئيس الجند تعظم وبه أُبطلت المحرقة الدائمة وهُدم مسكن مقدسه. وجُعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح. ويأتي التفسير في آ ١٩-٢٥ على الشكل التالي: "أما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس. والتيس العافي ملك اليونان، والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول. وإذ انكسر وقام أربعة عوضًا عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة، ولكن ليس في قوته. وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه وفاهم الحِيَل. وتعظم قوته، ولكن ليس بقوته. وُهلك عجبًا، وينجح ويفعل ويبيد العظماء وشعب القديسين. وبحذاقته ينجح أيضًا المكر في يده، ويتعظم بقلبه، وفي الاطمئنان يُهلك كثيرين، ويقوم على رئيس الرؤساء، وبلا يد ينكسر".

٤. في دا ١١ رسالة موجهة إلى دانيال وشعبه، وتتكلم عن الحروب التي ستقوم في الشرق بين الملوك الذين قاموا على خلافة مملكة اليونان: ملوك البطالمة في مصر (ملك الجنوب) والملوك السوريين (ملك الشمال). وتتكلم الرسالة عن نشاط أحد ملوك الشمال وعلاقته بشعب دانيال (اليهود) فتقول: "ويقوم من جنوده من يحلل تدنيس الحصن المقدَّس [الهيكل]، ويزيل المحرقة الدائمة، ويقيم رجاسة الخراب، ويجعل الأشرار يميلون عن العهد، بأضاليله، ولكن الشعب الذين يعرفون إلههم يتشددون في معاملته والعقلاء من الشعب يبينون الأمر للكثيرين ولكنهم يسقطون تحت السيف واللهيب والسبي والنهب... ويسقط بعض العقلاء ويكون سقوطهم سببًا لتمحيص الشعب وتنقيته وتطهيره إلى أن يحين الوقت الذي حدده الله. ويفعل الملك كيف يشاء، ويترفع ويتعاظم على كل إله. يتكلم بالأباطيل على إله الآلهة، وينجح إلى أن يحين السخط، فيعمل الله عمله. ولا يعترف الملك بآلهة آبائهم، ولا بالإله الذي تحبه النساء [تموز]، ولا بإله من الآلهة، لأنه يتعاظم على الجميع..." (دا ١١: ٣١-٣٧)[٢].

إن القرن الصغير، في الرؤيا الثانية والثالثة واضح أنه من الملوك الذين تقاسموا الإمبراطورية اليونانية. والعمل الأثيم الذي قام به موضح تمامًا في رسالة الله إلى دانيال في الفصل الحادي عشر ألا وهو اضطهاد "شعب العهد المقدس"، "قديسي العلي"، والتنكيل بهم بغية حملهم على ترك إيمانهم وديانة آبائهم وعبادة إله غريب. أما قمة تمرد هذا الملك فهي أنه دنس الهيكل، فأبطل الذبيحة اليومية، وأقام "رجاسة الخراب". ويعلمنا التاريخ الدنيوي أنّ من فعل هذا هو الملك السوري أنطيوخوس الرابع (١٧٥-١٦٤ ق.م.) الذي لقب نفسه "إبيفانوس" (الظهور الإلهي) إذ أنه رفع نفسه فوق كل الآلهة كما تفيد

(٢) النص الكتابي بحسب الترجمة المشتركة. بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣.

النصوص الكتابية المستعرضة أعلاه. كان أنطيوخوس الرابع مهووسًا بالثقافة الهلّينية وبسطها في الشرق الأدنى، وسعى سعيًا حثيثًا لتوحيد الأديان، وأعلن نفسه إلهًا متجسدًا زميلاً للإله زفس. وكذلك شجع على اعتبار زفس الإله يهوه نفسه، وأقام له مذبحًا في هيكل أورشليم. ولربما شرع في تقديم الذبائح عليه، وهذا ما أشار إليه النبي دانيال بقوله: "وتقوم منه أذرع وتنجس المقدس الحصين، وتنزع المحرقة الدائمة، وتجعل الرجس المخرب" (دا ١١: ٣١). لقد سلم بعض اليهود المرتدّين عن الإيمان بهذا التصرف، وشجعوه حاسبينه انفتاحًا وتطورًا، إلا أن اليهود الغيارى على ديانتهم ثاروا على هذا التصرف بقيادة زعيمهم يهوذا الملقب بالمكابي (ربما الضارب بالمطرقة) وأولاده، واستطاعوا، سنة ١٦٤ ق.م.، أن يستولوا على أورشليم، وأن يطهروا الهيكل من هذا الرجس، فاسترجعوا بذلك حريتهم الدينية. وأسس المكابيون حكمًا ورئاسة للكهنة استمر من سنة ١٤٠ ق.م. حتى مقدم الرومان واستيلائهم على أورشليم سنة ٦٣ ق.م.

يقوم التشابه بين نصوص دانيال ونصوص تسالونيكي الثانية على أمرين: أولاً التشابه بين حدث قيام ملكوت "قديسي العلي" بواسطة "شبه ابن الإنسان" الآتي على السحاب، والظروف السابقة له، أي مباشرة بعد وصول "القرن الصغير" إلى قمة شروره (رج دا ٢: ٣٤-٣٥ و٤٤-٤٥؛ ٧: ١٣-١٤ و٢٦-٢٧؛ ٨: ١٤ج و٢٥ج). – في دا ١١ تجسد الملكوت بانتصار المكابيين وتطهير القدس– واستعلان ملكوت الله بـ"حضور المسيح" (مجيء المسيح ثانية) (٢تس ٢: ٢ و٨)؛ وثانيًا التشابه بين أوصاف وعمل "إنسان الخطيئة"، "ابن الهلاك" أو "الأثيم" في ٢ تس ٢: ٣-١٠، الذي لم نحدده من هو حتى الآن، و"القرن الصغير" في دا ٧: ٨ و٢٠؛ ٨: ٩، الذي هو أنطيوخوس أبيفانوس.

وبالإضافة إلى تسالونيكي الثانية، أتى العهد الجديد على الإشارة إلى رؤى دانيال، بشكل أو بآخر في مناسبتين أخريين: الأولى، في خطاب المسيح المعروف عن نهاية هيكل أورشليم، وتماهي هذا الحدث مع الصورة الإسخاتولوجية (رج مت ٢٤؛ مر ١٣؛ لو ٢١). فبعد أن يصف المسيح الاضطهادات الكبيرة التي سيتعرض لها شعب الله، يقول لتلاميذه: "فمتى نظرتم رجاسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي، ليفهم القارئ، فحينئذٍ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال" (مر ١٣: ١٤)؛ ثم يتابع المسيح كلامه متكلمًا عن وجوب الهرب من أورشليم عند رؤية هذه العلامة، وعن الضيق الكبير الذي سيصيبهم، وعن عمل الضلال الذي سينشط ليُضلوا ولو أمكن المختارين (آ ١٥-٢٢). ويوجد كثير من التشابه بين أقوال المسيح هنا ومضمون الفصل الثاني من تسالونيكي الثانية. والمناسبة الثانية هي في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الفصل الثالث عشر حيث الكلام عن رؤيا من نوع رؤى دانيال: حيوان هائل "شبه النمر وقوائمه كقوائم الدب وفمه كفم الأسد" (آ٢)، وهو بذلك يختصر "حيوانات دانيال". وكتب الرائي عن هذا الوحش: "وأُعطي فمًا يتكلم بعظائم وتجاديف وأُعطي سلطانًا أن يفعل اثنين وأربعين شهرًا. ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء. وأُعطي أن يصنع حربًا مع القديسين ويغلبهم، وأعطي سلطانًا على كل قبيلة ولسان وأمة، فيسجد له جميع الساكنين على الأرض... هنا صبر القديسين وإيمانهم" (رؤ ١٣: ٥-١٠).

ثانيًا: "سر الإثم" في عصر الكنيسة؟

١. ما هو سر الإثم"؟

بالإشارة إلى ما بيّنّا أعلاه بأن توجد علاقة بين استعلان ملكوت الله بحضور المسيح في رسالة تسالونيكي الثانية من جهة، وقيام مملكة قديسي العلي بواسطة "ابن الإنسان في سفر دانيال من جهة أخرى، يكون "إنسان الخطيئة"، "ابن الهلاك" أو "الأثيم في

تسالونيكي الثانية هو تحقق مسيحاني لـ"القرن الصغير" في نبوة دانيال. وهذا مرادف للصورة الإسخاتولوجية التي رسمها المسيح والمتجسدة في دمار هيكل أورشليم (مت ٢٤؛ مر ١٣؛ لو ٢١)، وللصورة الأخرى التي يوفرها لنا كاتب سفر الرؤيا (رؤ ١٣: ١-١٠). **وعليه، فَسِرُّ الإثم عمل تمرد على الله، بالتجديف على اسمه وبالتعالي عليه، وبتدنيس هيكله أو مؤسساته، وبرفض تعاليمه وسياسته، وبتدمير مخططاته الآيلة لخلاص الإنسان وبناء ملكوت أبدي. ويترافق هذا مع اضطهاد شعب الله ومحاولة إضلالهم وردهم عن الإيمان الأقدس.**

ليس "سرّ الإثم" عملاً فرديًا، بل عمل عام ومنظم، يقوم به شخص في سدة القيادة أو نظام محدد. وبحسب النص الكتابي في تسالونيكي الثانية، كما في دانيال أيضًا، سيلاقي هذا العمل الأثيم بعض النجاح، وسيرتد البعض عن الإيمان المسيحي، وسيصل هذا العمل إلى قمته بإدخال ما يشبه "رجاسة الخراب" إلى هيكل الله، أي إلزام المؤسسة الدينية لشعب الله ممارسة عبادة "إله" غير الله.

"لقد كان اليهود ينتظرون ليس فقط المسيا الذي يخلصهم، ولكنهم كانوا ينتظرون ظهور قوة جبارة مضادة هي عبارة عن تجسيد حي للشر، سماها بولس "إنسان الخطية"، ورأى يوحنا أن القوة الرومانية هي هذه القوة الشريرة"[٣]. ويتكلم كاتب تسالونيكي الثانية عن وجود وضع في الكنيسة، هو قيد الإعداد، شبيه بما حدث لشعب الرب قديمًا في العصر المكابي: اضطهاد شعب الله بسبب إيمانهم الثابت وتدنيس هيكلهم المقدس. وهذا جد ممكن لأن هيكل أورشليم، الذي يجب أن يدخله "الأثيم"، كان ما زال قائمًا كون الرسالة تعود إلى ما قبل خراب الهيكل. ونسأل هنا: هل كان الرسول يتوقع حدوث مثل هذا الحدث في زمنه؟ وجوابنا نعم، وكان الرب يسوع قد رأى أن "رجاسة الخراب" آتية قريبًا إلى الهيكل، وقد افتُتح هذا الحدث بإقامة عبادة الإمبراطور، وقد انتشرت، في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، معابد علقت فيها صور للإمبراطور، وطُلب من جميع المواطنين وسكان البلدان المحتلة القيام بطقس عبادة له، وإلا فسيتعرضون للاضطهاد ومصادرة ممتلكاتهم. وحدث أن سنة ٤٠ م. حاول الإمبراطور الروماني كاليغولا أن يقيم تمثاله ليعبد كإله في وسط الهيكل، على الرغم من نصيحة المحيطين به بألا يقوم بهذا العمل، كونه يفتح الباب على مصراعيه لحرب دينية شعواء يبدأها اليهود أنفسهم. وبالفعل، رفض أكثرية اليهود، وطبعًا المسيحيون، القيام بمراسم العبادة للإمبراطور، وشحنت الأجواء بين الرومان واليهود، وكذلك بين الرومان والمسيحيين، فذهبت آلاف الضحايا كشهداء لهذا التدبير. وأدى الأمر في نهاية المطاف إلى المواجهة بين الرومان واليهود، فحوصرت أورشليم وسقطت سنة ٧٠ م. على يد تيطس الروماني، ودمر الهيكل تدميرًا كاملاً. وقصة حصارها وسقوطها تُعَدّ من أقسى صفحات التاريخ. أما المسيحيون، فلما رأوا الغيوم السوداء تتلبد، تذكروا قول المسيح وهربوا ونجوا بحياتهم.

سر الإثم هو، بشكل عام، كل عمل تخطط له ممالك ودول وهيئات رسمية ومنظمات عالمية، فتضع لذلك إستراتيجيات محكمة لتأليه نفسها أو البشرية، ولتدمير الإيمان، ولرد شعب الله عنه، بل وتضع إستراتيجية عمل لإعاقة عمل الله على الأرض، ولتدنيس المؤسسات الدينية المسيحية، وهذا ما سنتوسع فيه أدناه.

٢. كيف يعمل "سر الإثم"؟

في زمن كتابة الرسالة الثانية إلى تسالونيكي، كان العداء للبشارة الإنجيلية من مصادر مختلفة: اليهود، الدولة الرومانية، والفرق الدينية

(٣) وليم باركلي. **إنجيل مرقس**، سلسلة تفسير العهد الجديد، تعريب فهيم عزيز. القاهرة: دار الثقافة، د. ت. ص٣٦١.

الباطنية. طبعًا، عمل سر الإثم المقصود في تسالونيكي الثانية هو نشاط الدولة الرومانية المناهض للبشارة المسيحية. لقد أتى الرفض لحقائق الإنجيل ولمعتنقيها بشكل قانوني ومنظم أصبح معه اعتناق المسيحية جرمًا يحاسب عليه القانون. فبالإضافة إلى إقامة "عبادة الإمبراطور" بيد كاليغولا، أصدر الإمبراطور نيرون، سنة ٦٤، مرسومًا منع به اعتناق المسيحية. ويخبرنا المؤرخ الروماني تاسيتوس عن السبب الذي حمل نيرون الطاغية على البطش بالمسيحيين؛ فقد نشب حريق هائل في روما قضى على معظم منازل الأحياء الفقيرة، ونسب الناس هذا الحريق إلى نيرون نفسه، لكنه بدوره ألقى المسؤولية على المسيحيين، فادعى بأن آلهة روما حزينة لأن المسيحيين يؤلبون الناس عليها، وألصق بالمسيحيين شتى التهم، فشحن الرأي العام ضدّهم، وألحق بهم أشرّ الاضطهادات. وكان لنيرون عشيقة يهودية تدعى "بوبية"، فحرضها اليهود على المسيحيين، وهي بدورها كانت تحرض نيرون عليهم، وحملته على مواجهتهم بوحشية لا مثيل لها. وكان الوثنيون واليهود معًا قد اتهموا المسيحيين بأنهم يقدمون ذبائح بشرية، فيأكلون اللحم ويشربون الدم في احتفالاتهم السرية، ونسبوا إليهم أعمال الكفر والفسق والظلم. وتغلغلت هذه الأكاذيب في عقول الجماهير، فاعتبرهم الناس أعداء الآلهة والبشر، وعلة الشرور كلها من زلازل وحروب وفيضانات[٤].

لم يكن هذا الوضع غريبًا على أهل كنيسة تسالونيكي الذين كتب إليهم بولس قائلاً: "إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير"، "لأنكم تألمتم أيضًا من عشيرتكم تلك الآلام عينها" (١تس ١: ٦ و١٤)، "نفتخر بكم... من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملونها بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضًا" (٢تس ١: ٤-٥) (رج أع ١٧: ١-١٥).

استعمل بولس عبارة "سر الإثم"، ليس للدلالة على أن الإثم يعمل بطريقة سرية فحسب، بل للدلالة على أن الإثم يعمل وينتشر بقوى روحية، شريرة طبعًا، وهو نشاط ديني (وثني) أي مصنف بين الأعمال الدينية. "وتستعمل اليونانية الكلاسيكية كلمة "أسرار" (بصيغة الجمع) للدلالة إلى الطقوس المقدسة في الديانات اليونانية الباطنية التي كان يمارسها المستنيرون فقط... وفي استعمال العهد الجديد، تعني كلمة mysterion اليونانية أمرًا سريًا مخفيًا، هو في صدد الانكشاف أو كُشف سابقًا، وهو ذات طابع إلهي يلزم كشفه للبشر تدخّل إلهيّ بالروح القدس"[٥]. وكان الرب يسوع المسيح قد أعطى التلاميذ، دون غيرهم من الناس، أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات (مت ١٣: ١١)، فهي "تعليم خفي أعطي للخاصة من الناس ويحتاج إلى شرح المعاني من قبل المسيح المعلم". أما في الرسائل البولسية، فتدل كلمة "سر" على معرفة خفية لا تكشف إلا بإعلان خاص. وفي هذا السياق يتكلم بولس عن **سر الله الآب والمسيح** (كو ٢: ٢)؛ و**"سر التقوى"** (١تي ٣: ١٦)، وهو ما لا يُدرك بالحواس بل بالإيمان، وهو "سرّ المسيح" أو "الله (أو الذي) ظهر في الجسد"، وهذا يمكن أن يُسمى "سر التجسد"؛ و**"سر الإيمان"** (١تي ٣: ٩) الذي هو شرط من شروط الشمّاسيّة؛ و**"السر"** الذي كشف لبولس بإعلان إلهي هو "أن الأمم" (غير اليهود) "شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٦)؛ و**"سر بابل"** (رؤ ١٧: ٥)، أي الصورة الحقيقية الخفية لروما الوثنية التي لا يعرف حقيقتها إلا الذين أعلن لهم بالروح القدس. ويأتي في السياق نفسه "سر الإثم" (٢تس ٢: ٧)، أي حقيقة

(٤) ميشال يتيم وإغناطيوس ديك، **تاريخ الكنيسة الشرقية**، جونية: المكتبة البولسية ١٩٩١، ص ٢٦.

(٥) S. S. SMALLY. "Mystery", in J. D. Douglas (ed.) *The New Bible Dictionary*. Leicester: Inter-Varsity Press, rep. 1980, p. 856.

عمل الإثم بصورة خفية لا يراها إلا الذي أُعلن لهم.

وبناء على ما تقدم، نستطيع أن نقول إنّ عمل العصيان والتمرد على شرائع الله، أو التعالي عليه بادعاء ألوهية أعلى من ألوهيته – ويعتقد البعض بأنه يوجد تدرج بالألوهة– وإعاقة انتشار البشارة وعمل الخلاص، هو نشاط شيطاني خبيث يتقدم بروح شريرة وبطريقة سرية، وقد يأخذ شكل القوانين المدنية، وقد تلتزم به دول وهيئات ومؤسسات كبيرة ويأخذ صورًا "مجملة" ولا يعرف حقيقته، ويستطيع بالتالي أن يتتبع أثره ويحذره، إلا أولئك المسيحيون الممتلئون بالروح القدس.

يأتي "سر الإثم"، في رسائل يوحنا بشكل نشاط المدعو "ضد المسيح". وأضداد المسيح، كما يصفهم يوحنا نفسه، هم المرتدون عن المسيحية الذين صاروا ينكرون أن "يسوع هو المسيح"، وهم بذلك ينكرون الآب والابن معًا (١يو ٢: ١٩-٢٢). ويحدد يوحنا الصورة بوضوح أكبر فيقول: "بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف أن بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله، وهذا هو روح ضد المسيح..." (١يو ٤: ٢-٣؛ رج ٢يو ٧). يتكلم يوحنا هنا عن جماعة العرفان الذين أنكروا "سر التجسد الإلهي" كونهم يعتبرون المادة شرًا. في تسالونيكي الثانية، "سر الإثم" هو عمل شيطاني بموجبه يرتفع أحد الأشخاص أو الدول أو الهيئات على الآب والابن، فينكرون الألوهة، أو يحطون منها؛ أما في يوحنا، فعمل "ضد المسيح" ينصب على إنكار أن يسوع، الذي أتى في الجسد هو المسيح الآتي بـ"فيض إلهي" أو الحال فيه كل ملء اللاهوت (كو ٢: ٩)، أو إنكار أن هذا المسيح "اللاهوت" حل في الناسوت.

"سر الإثم" عامل دائمًا في العالم، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً؛ فقد ظهرت في التاريخ البشري دول وهيئات تبنت فلسفات إلحادية، وكان همها الأول استئصال الإيمان من قلوب الشعوب، مُدَّعين أن الإيمان دليل ضعف ومبرر للكسل، وكثيرة هي البلدان التي تسنّ قوانين ضد الطبيعة والنظم الإلهية كتلك القوانين التي تشجع على استبدال الزواج بالمساكنة، وتشرع زواج مثلي الجنس والإجهاض. وكثيرة هي الديانات الحديثة والهرطقات (وأهمها ديانات العصر الجديد) التي تؤلّه الإنسان وتَعِدُه بالفردوس، ناكرة وجود الله والخلاص الذي قدمه للجنس البشري. وتجربة "تأليه الفرد" كانت في صلب التجربة الأولى (تك ٣)، وسوء استعمال السلطة، حيث إنّ ملوكًا أظهروا أنفسهم بمظهر آلهة متعالية على الله (إش ١٤؛ حز ٢٨).

٢. متى يعمل "سر الإثم"؟

رأينا أنّ رؤى دانيال المتعلقة بـ"القرن الصغير" قد تحققت في أنطيوخوس إبيفانوس الذي حكم بين العامين ١٧٥ و١٦٤ ق.م. ثم تكلم المسيح، وبعده الرسول بولس، عن تحقيق آخر لهذه النبوة في زمنهم. ونحن الذين درسنا التاريخ المسيحي نعلم أن المسيح كان يتكلم عن تنجيس الهيكل بدخول ممثلي الإمبراطور اليوناني: تيطس وجنوده إليه مصطحبين معهم رموزًا لآلهة روما الوثنية، وقد انتهت هذه العملية بدمار الهيكل وسقوط أورشليم تحت السلطة الكاملة لروما الوثنية. وبولس كان يتكلم عن ممارسة عبادة الإمبراطور التي فرضها الرومان، وعن نية الإمبراطور كاليغولا، سنة ٤٠ م.، بنصب تمثال له في الهيكل. يقول بولس إن "سرّ الإثم يعمل الآن" (٢ تس ٢: ٧). وفي معرض كلامه عن "ضد المسيح"، أفاد يوحنا: "كما سمعتم بأن "ضد المسيح" يأتي وقد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة" (١يو ٢: ١٨)؛ "وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي الآن وفي في العالم" (١يو ٤: ٣ب). إن حدث "ضد المسيح"، يقول يوحنا، هو موجود في الحاضر، لكن دون أن ينفي المعلومات القائلة بمجيئه مستقبلاً في "الساعة الأخيرة". كيف يكون الأمر أن النبوة تحققت في

الماضي، وهي محققة في الحاضر (في عصر الرسل)، وستتحقق في المستقبل؟

للإجابة على هذا السؤال، أريد أن أتوقف عند أمرين. الأول، هو أن مجيء المسيح (الأول) قد افتتح "الساعة الأخيرة" أو "الأيام الأخيرة" أو "أواخر الدهور". فالزمن المسياوي هو التدبير الأخير في تقويم (روزنامة) الله (رج عب ١: ٢؛ ١٠: ٢٥، ٣٧؛ غل ٤: ٤؛ أف ١: ١٠؛ ١كو ٧: ٢٩؛ ١٠: ١١؛ في ٤: ٥). وبهذا المعنى، يتماهى الحاضر والمستقبل دائمًا تقريبًا في كتابات يوحنا: "ضد المسيح" حاضر الآن وهي الساعة الأخيرة (١يو ٢: ١٨)؛ الدخول في الحياة الأبدية، والدينونة، والقيامة هي الآن ومستقبلاً (يو ٥: ٢٤-٢٩). العصر المسياوي هو تكميل للزمن، وبه ينتهي الزمن وتحقيق للنبوات كلها المتعلقة بتاريخ الخلاص، تمامًا كما تتحقق الزهرة في البرعم، والبرعم في الثمرة. والأمر الثاني هو ماهية النبوة. ليست النبوة تاريخ المستقبل، أو قول الأشياء قبل حدوثها بزمن طويل كما يظن البعض. وليست هذه هي العلاقة التي تربط أقوال العهد القديم النبوية بأحداث العهد الجديد، ولا هكذا يجب أن تكون العلاقة بين نبوات العهد الجديد والمستقبل. وبدراسة واعية وعلمية لنبوات العهد القديم المحققة في العهد الجديد، نرى أن هذه النبوات كتبت أصلاً لتعالج أوضاعًا آنية، ثم بعد ذلك بوقت طويل، رأى كتاب العهد الجديد الملهمون بعض الأحداث تحقيقًا لها. النبوة عمل حاضر في كل آن، قابل للتحقيق في كل زمن لكن بطرق مختلفة.

إني أهيب بأولئك الذين يستندون إلى ٢تس ٢ ليقولوا بما أن "الأثيم"، إنسان الخطيئة"، "إبن الهلاك"، "ضد المسيح" يجب أن يظهر ويدخل الهيكل أو يضع صورته أو تمثاله فيه، لذلك يجب أن يُعاد بناء هيكل أورشليم أولاً. ويرون إعادة بناء هيكل أورشليم في خطة الله الخلاصية، فينشطون في نشر خبر إعادة بناء الهيكل ويُظهرون أهميته، والبعض يساعد ماديًا بهذا المشروع. وهذا ما يحدث بكل أسف في بعض البلدان الغربية. إن هذه القراءة للنبوات قراءة "حزازير". لأن هيكل الله، مسكنه، بعد تأسيس الكنيسة هو بين المؤمنين، الكنيسة التي هي جسد المسيح (١كو ٣: ١٦-١٧؛ ٦: ١٩؛ ٢كو ٦: ١٦؛ أف ٢: ٢١-٢٢؛ عب ٣: ٦؛ ١بط ٢: ٥)، ولا توجد حاجة في ما بعد لهيكل أورشليم. وقد يُعاد بناء الهيكل، ككثير من الأمور القديمة التي تعود إلى الحاضر، لكن ليس بالضرورة كتحقيق لقول نبوي.

الخلاصة

لـ"سر الإثم" جذور في رؤى دانيال حيث يُرى التاريخ البشري مكتملاً بقيام ملكوت ابن الإنسان (دانيال)، حضور المسيح والاجتماع إليه (تسالونيكي الثانية)، ملكوت الله (العهد الجديد). وقبيل قيام هذا الملكوت، لا بد من أن يأتي ارتداد كثير من المؤمنين عن إيمانهم بفعل عمل الضلال الذي يقوم به "الأثيم" المضلّ حيث يدّعي الألوهية واجتراح العجائب.

"سرّ الإثم" في زمن بولس هو إقامة عبادة الإمبراطور الروماني والسعي إلى وضع تمثال له في الهيكل. هو تأليه الذات وطلب عبادتها من الغير واضطهاد كل من يرفض وإعاقة عمل الله على الأرض. يتم عمل "سر الإثم" بطرق مُجمَّلة، بواسطة بعض الدول والحكومات والهيئات التي تسنّ قوانين إلحادية أو معادية للطبيعة وللشرائع الإلهية. عمل الإثم "سرّ"، أي أنه يتم بقوة الروح الشريرة، ولا يستطيع أن يميّزه إلا أولئك الذين يملأهم روح الله. "سر الإثم" حاضر أبدًا على مسرح الأحداث؛ فمحاولات تأليه الذات ابتدأت مع آدم وحواء في التجربة الأولى، والتعرض لعمل الله على الأرض واضح وفي كل مكان. وأخيرًا، على الكنيسة أن تتنبه إلى هذا الأمر وأن تتصدى لهذا العمل الشيطاني الشرير، وأن تصبر في الضيق، وتتمسك بالإيمان، وتتقوى بالرجاء، فالمسيح حاضر أبدًا في كنيسته.